السنة الحادية والسبعون

فيها سارَ عبد الملك بنُ مروان إلى العراق لحرب مصعب بن الزُّبير في ثلاثين ألفاً ومعه زُفَر بنُ الحارث، ولم يقاتل معه حفظاً لأَيمانه لابن الزبير[١]، فنزل بمَسْكِن من أرض العراق على دُجَيْل.

وقدمَ مصعب من البصرة، فنزل الكوفة، ثم سار لحرب عبد الملك، فكتبَ عبدُ الملك إلى المروانيَّة الذين كانوا بالعراق، ووعدهم الولايات، واشترطوا عليه ولاية أصبهان ونواحيها، منهم حَجَّار بن أَبْجَر، والغَضْبان بن القَبَعْثَرَى، وعتَّاب بن وَرْقاء، وقَطَن بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وزَحْر بن قيس، ومحمد بن عُمير بن عُطارد.

قال رجاء بن حَيْوَة: لمَّا قَتَلَ عبد الملك عمرَو بنَ سعيد؛ صفا له الشام، وبعد أنْ قتلَ مَنْ خالفَه أمرَ الناس بالمسير إلى العراق، فأشار عليه رؤساء أهل الشام أن يقيم ويبعث الجيوش، فقال عبد الملك: إنَّه لا يقومُ بهذا الأمر إلا قرشي وله رأي، ولعلِّي أبعثُ من له شجاعة ولا رأي له، وإني أجد في نفسي أني بصيرٌ بالحرب، شجاعٌ إنْ ألجئت إلى السيف، ومصعبٌ في بيت شجاعة، أبوه كان أشجعَ قريش، وهو في نفسه شجاع، ولا علم له بالحرب، يحبُّ الخفض والدَّعَة، ومعه من يُخالفُه، ومعي من يُطيعني وينصحُ لي.

وسار عبد الملك، فنزل مَسْكِنَ، ونزل مصعب باجُمَيْرا[٢]، وكتبَ عبد الملك إلى أعيان أصحاب مصعب، فجاء إبراهيم الأشتر بكتاب عبد الملك مختوماً إلى مصعب، فقال: هذا كتاب عبد الملك. قال: ما فيه؟ قال: واللهِ ما فتحتُه. فقرأه مصعب، وفيه أنّه يدعوه إلى نفسه، ويجعلُ له ولايةَ العراق. فقال إبراهيم: واللهِ إنَّه قد كتبَ إلى أصحابك كلِّهم بمثلِ ما كتبَ إليّ، فأطِعْني واضْربْ أعناقَهم. فقال مصعب: فإذاً لا تُناصِحُنا عشائرُهم. قال: فأوقِرْهم حديداً، وابْعَثْ بهم إلى أبيض كسرى، فاحْبِسْهُم

(١) ينظر ما سلف (أوائل أحداث سنة ٦٩).

(٢) موضع دون تكريت. «معجم البلدان» ١/ ٣١٤ .

هناك، ووكِّلْ [بهم] مَنْ إن غُلِبْتَ قَتَلَهم، وإنْ غَلَبْتَ مَنَنْتَ بهم على عشائرهم. فقال: يا أبا النُّعمان، إنّي لفي شُغل عن ذلك[1].

وحجَّ بالناس [في هذه السنة] عبد الله بنُ الزُّبير[2].

وفيها توفِّي

البراءُ بنُ عازب

ابن الحارث بن عديّ بن الخَزْرَج، أبو عُمارة، من الطبقة الثالثة من الأنصار[3].

قال البراء بن عازب: غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ خمسَ عشرةَ غزوةً، وأنا وعبدُ الله ابنُ عُمر لِدَة[4].

وقال: صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثمانية عشر سَفَراً، فلم أره ترك ركعتين قبل الظُّهر[5].

نزل البراءُ الكوفة، وتوفِّي بها في أيام مصعب بن الزبير، وكان يتختَّمُ بالذهب[6].

وكان له من الولد: يزيدُ، وعُبَيْد، ويونُس، وعازب، ويحيى، وأُمُّ عبد الله[7].

أسندَ البراء عن رسول الله ﷺ أحاديث.

عبد الله بن خازم

ابن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمي، أبو صالح، أمير خُراسان.

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٦ـ١٥٧ ، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٧ـ٣٥٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٦/ ١٦٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢ وقد سلفت الترجمة بأطول منها أوائل السنة (٦٨). وذكرتُ ثمة أنَّ ابنَ حِبَّان أرَّخَ وفاته سنة (٧١) و(٧٢).

(٤) أي: وُلِدا في وقت واحد. ويقال: التِّرْبُ أيضاً. ووقع في النسخ الخطية (عدا (م) فالكلام ليس فيها): بن عمرو غزوةً!

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٦ .

(٦) المصدر السابق. وروى أيضاً حديث تختُّم البراء بالذهب أحمد في «المسند» (١٨٦٠٢). وينظر كلام ابن حجر العسقلاني عليه في «فتح الباري» ١٠/ ٣١٧ .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢ .

أدرك رسولَ الله ﷺ، وروى عنه، وكان مشهوراً بالشجاعة والفضل والجهاد. وأصله من البصرة، وعلى يده فُتحت سَرَخْس.

وفي سنة ثلاث وثلاثين جمعَ قارن جمعاً كبيراً بباذَغِيش[١] وهَراة، [فأقبلَ في] أربعين ألفاً، فلقيَه عبدُ الله بنُ خازم في أربعة آلاف، فقتلَ قارناً، وهزمَ أصحابَه، وأصابَ غنائمَ كثيرة، وكتبَ إلى ابن عامر بالفتح[٢].

ولما قُتل مصعب كتبَ عبدُ الملك إلى عبد الله بن خازم: إنَّ لك خراسان سبع سنين على أن تُبايع لي. فقال ابنُ خازم للرسول وهو سَوْرَة بن أَشْيَم التميمي[٣]: لولا أنْ أضربَ بين بني سُليم وبني عامر لقتلتُك، ولكنْ كُلْ هذه الصحيفة. فأكلها.

وقيل: إن الرسول كان سنان الغَنَوي، فقال ابنُ خازم: إنما بعثك أبو الذِّبَّان[٤] لأنَّك من غَنِيّ[٥]، وقد علمَ أنّي لا أقتلُ رجلاً من قيس، ولكنْ كُلْ كتابَه.

وبلغ عبدَ الملك، فكتبَ إلى بُكير بن وِشاح أحدِ بني عوف بن سعد ـ وكان خليفةَ ابنِ خازم على مَرْو ـ بعهده على خُراسان، ووعدَه ومنَّاه، فخلعَ بُكيرٌ ابنَ الزُّبير، ودعا إلى عبدِ الملك، وأجابَه أهلُ مَرْو.

وبلغَ ابنَ خازم وهو يُحاصرُ أَبْرَشَهْر[٦]، فخاف أن يجتمعَ عليه أهلُ مَرْو وأهلُ أَبْرَشَهْر، وكان يُحاصرُ بها بَحِيرَ بنَ وَرْقاء[٧] الصُّريمي، فرجع عن أَبْرَشَهْر طالباً مرو، يريد أن يأتيَ ابنَه [بالترمذ]. فخرج بَحِير خلفَه، فأدركه بقريةٍ يقال لها: شاه[٨]، بينها

---

(١) كذا في النسخ الخطية و«تاريخ دمشق» ص ٢٣٣ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم حرف العين) لكن قيَّدها ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٣١٨ بالسين المهملة. وقال: هي ناحية تشتمل على قرى من أعمال هَراة ومروالرُّوذ. اهـ. وهَراة: مدينة عظيمة من مدن خُراسان.

(٢) تاريخ دمشق ص ٢٣٣ـ٢٣٤ (الطبعة المذكورة) وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ (والكلام منه): النُّمَيْرِيّ، وفي «تاريخ دمشق» ص ٢٣٤ : سَوْرة بن أبجر الدارمي.

(٤) هو لقب عبد الملك بن مروان؛ لبَخَرٍ كان في فمه.

(٥) غَنِيّ بطن من قيس عَيْلان، وهو غَنِيّ بن أَعْصُر: ينظر «معجم قبائل العرب» ٣/ ٨٩٥ .

(٦) يعني نيسابور. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٦٥ـ٦٦ . ولم تجوَّد اللفظة في النسخ الخطية (غير (م) فالكلام ليس فيها)، فوقع فيها: أبوبنهر (وكذا في الموضع الآتي). والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ .

(٧) كذا في النسخ الخطية، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ (وفي كل المواضع). وفي «أنساب الأشراف» ١٢/ ٢٨٥ : بَحِير بن وِقاء. وكذا هو في «المشتبه». ينظر «توضيحه» ٩/ ١٩٢ .

(٨) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ : شاهميغد.

obeikandl.com

وبين مَرْو ثمانيةُ فراسخ، فقاتلَه ابن خازم، فاجتمعَ عليه وكيع بنُ عُميرة القُرَيْعي ـ وهو ابنُ الدَّوْرَقية ـ وبَحِير بنُ وَرْقاء، وعمَّارُ بنُ عبد العزيز الجُشَمي، فقتلُوه، وذَبَحه وكيع، وجعلَ يقول قبل أن يذبحه: يا ثارات دُوَيْلَة. [ودُوَيْلة] أخ كان لوكيع من أمِّه قُتل في تلك الأيام.

قال وكيع: فتنخَّمَ ابنُ خازم في وجهي وقال: لعنكَ الله، تقتلُ كبشَ مُضر لعِلْجٍ لا يُساوي كفّاً من تراب.

وبعث بُكير بن وشاح برأسه إلى عبد الملك.

ولما قُطع رأسُ ابنِ خازم أخذه بَحِيرُ بنُ وَرْقاء ليتقرَّب به إلى عبد الملك، فحمل عليه بُكير بن وشاح، فضربَه وأخَذَه، وحبس بَحِير مدَّة.

ولمَّا قُتل ابنُ خازم حملوه على بغل، فمال، فشدُّوا في مذاكيره حبلاً عَدَلُوه به، ودُفن جسدُه بنيسابور في رُسْدَاق جُوَين.

وقُتل سنة إحدى وسبعين، وقيل: سنةَ اثنتين وسبعين[١].

وكان ولدُه موسى شجاعاً فاتكاً؛ لمَّا قُتل أبوه؛ سار في مئة فارس إلى تِرْمِذ، فنزل ضيفاً عند ملكها، فقتله، ومَلَكَ تِرْمذ، فأقام والياً عليها إلى سنة خمس وثمانين، وحكم على ما وراء النهر، حتى وليَ المفضَّل بن المهلَّب خُراسان، فجهَّز إليه جيشاً، فخرج إليهم، فظهر عليهم، فنزل رجل، فعرقب فرسَه، وقتلُوه في سنة خمس وثمانين[٢].

عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، فأول مشاهدِه مع رسول الله ﷺ الحديبية، ثم خيبر، وما بعدها[٣].

وبعثه رسول الله ﷺ إلى مالك بن عوف[٤].

(١) الخبر في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ـ١٧٧ وقد ذكره في أحداث سنة (٧٢).

(٢) ينظر خبره مطولاً في «تاريخ» الطبري ٦/ ٣٩٨ـ٤١١.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٠٩ـ١١٠ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم حرف العين).

(٤) بعثه إلى مالك عيناً، حيث جمع مالك هوازن وثَقيف لقتاله ﷺ، وذلك في حُنين. ينظر «الطبقات» ٢/ ١٣٩.

واستعان ابنُ أبي حَدْرَد رسول الله ﷺ في مهر امرأته، فقال: «كم أصْدَقْتَها؟» فقال: مئتي درهم. فقال: «لو كنتُم تغرفونه من بُطْحان ما زدتُم».

توفّي ابنُ أبي حَدْرَد سنة إحدى وسبعين وهو يومئذ ابنُ إحدى وثمانين سنة[(١)].

أسندَ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، وروى عن أبي بكر وعُمر، وعثمان، وأبي هريرة، رضي الله عنهم.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا يعقوب، حدَّثنا أبي، عن ابن إسحاق[(٢)]، حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حَدْرَد، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدْرَد قال:

بعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَم، فخرجتُ في نَفَرٍ من المسلمين؛ فيهم أبو قَتادة الحارث بنُ رِبْعيّ، ومُحَلِّم بن جَثَّامة بن قيس، حتى إذا كُنَّا ببطن إضم؛ مرَّ بنا عامر بن الأضْبط على قَعودٍ ومعه مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ من لَبَن[(٣)]، فسلَّم علينا، فأمْسَكْنَا عنه، وحملَ عليه مَحَلِّم بنُ جَثَّامة، فقتلَه بشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بعيرَه ومُتَيِّعَه.

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ، أخبَرْناهُ الخَبَر، فنزلَ فينا قرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية [النساء: ٩٤].

ومُحَلِّم هذا هو أخو الصَّعْب بن جَثَّامة، والصَّعْب من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم بين الخندق وفتح مكة[(٤)].

قال شهر بن حَوْشَب: إنَّ الصَّعْبَ بن جَثَّامة وعوفَ بن مالك كانا مُتواخِيَيْن؛ قال صعب لعوف: أيْ أُخَيّ[(٥)]، أيُّنا ماتَ قبل صاحبه فليتراءَ له. قال: أويكون ذلك؟!

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥، و«تاريخ دمشق» ص ١١٨ـ١١٩.

(٢) في النسخ الخطية (غير م فليس فيها): أبي إسحاق. والتصويب من «مسند» أحمد (٢٣٨٨١).

(٣) الوَطْب؛ بفتح فسكون: سقاء اللبن يُتَّخذ من جلد، و«مُتَيِّع» بتشديد الياء: تصغير متاع، والقَعود؛ بفتح القاف: ما أمكن أن يُركب عليه من البعير. قاله السندي، كما في حاشية «المسند» (٢٣٨٨١).

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٢.

(٥) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): تعرف أي أخينا! بدل قوله: قال صعب لعوف أي أُخي. والتصويب من «المنامات» لابن أبي الدنيا ص ٢٧ـ٢٨، و«الروح» ص ١٥٩.

قال: نعم. فمات صعب، فرآه عوف في المنام فقال: يا أخي، ما فعل الله بكم؟ قال: غفرَ لنا بعد المصائب[١].

قال: ورأيتُ لَمْعةً سوداء في عنقه، فقلت: أيْ أُخَيّ، ما هذه؟ قال: عشرة دنانير استلفتُها من فلان اليهوديّ، وهي في قَرَني[٢]، فأعطُوه إيَّاها، واعْلَمْ أيْ أُخَيَّ أنه لم يحدثْ في أهلي حَدَثٌ بعدي إلا لحق بي خبرُه[٣]، حتى هرَّة لنا ماتت منذ أيام، وإنَّ ابنتي تموتُ إلى ستة أيام، فاستَوْصُوا بها معروفاً.

قال عوف: فلما أصبحتُ أتيتُ أهله، فقالوا: مرحباً، إنك لم تقرَبْنا منذ مات الصعب، أهكذا تصنعون بإخوانكم؟! فاعتذرتُ إليهم بما يعتذر الناس، فنظرتُ إلى القَرَن وهو معلق، فأنزلته، وقلبتُه، فبدرتُ الصُّرَّة التي فيها الدنانير، فأرسلتُ إلى اليهوديّ، فجاء، فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحمه الله، لقد كان من خيار أصحاب محمد ﷺ، هي له. قلت: أخبرني. قال: استلف مني عشرة دنانير. فنبذتُها إليه، فقال: هي واللهِ بأعيانها. فقلتُ: هذه واحدة. وقلتُ: هل حدثَ فيكم حَدَثٌ بعد موته. قالوا: نعم هِرَّةٌ ماتت منذ أيام. قلتُ: هاتان اثنتان. قلت: وكيف بنتُ أخي؟ قالوا: ها هي. فجاءت، فلمستها فإذا هي محمومة. فقلت: استَوْصُوا بها خيراً. فماتت بعد ستة أيام.

[وفيها قُتل]

مصعب بن الزبير

ابن العوَّام، أبو عبد الله[٤] [ولم يكن له ولد اسمه عبد الله] من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة[٥]، وكنيتُه المشهورة أبو عيسى[٦].

---

(١) في النسخ: السائب. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٢) أي: جَعْبَتي (كِنانة النبل).

(٣) في النسخ: لحقني أجره، بدل: لحق بي خبره. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٤) في (م): وأمُّه الرباب بنت أُنيف بن عُبيد، كلبيَّة، وحكى ابن سعد أنه كان يُكنى أبا عبد الله...إلخ. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨١-١٨٢ .

(٦) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٥ (طبعة مجمع دمشق).

[وقال الزُّبير بن بكّار:] كان [مصعب] من أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، جواداً سمحاً مُمدَّحاً(١).

وكان يجالسُ أبا هريرة، ورآه جميل بثينة على عرفات، فقال: إن ههنا لشابّاً أكره أن تراه بُثينة. يعني لجماله(٢).

وكان يسمَّى آنية النَّحْل؛ لجُوده(٣).

قيل لعبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: أيُّ أولادِ الزُّبير أشجع؟ فقال: ما منهم إلا من يمشي إلى الموت وهو يراه، ولا كمصعب.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: ما رأيتُ أميراً قطُّ أجملَ من مصعب بن الزبير على المنبر(٤).

وقال الشعبي: استدعاني مصعب يوماً بالكوفة لأمر جرى بينه وبين عائشة بنت طلحة، فدخلتُ عليه وهي جالسة، فسألني عما أراد، فأجبتُه، فقال: يا شعبيّ، هل رأيتَ مثلَ هذه؟ قلت: لا. وقمتُ فخرجتُ، فقالت له عائشة: أتَجْلُوني عليه بغير نِثار(٥)؟ فقال لها: للهِ دَرُّكِ! فبعث إليَّ بعشرة آلاف درهم.

قال: وكنتُ جالساً عنده، فأُتيَ برجل، فأمرَ بضربِ عُنقه، فقال له: أيُّها الأمير، ما أقبحَ بمثلي أن يقومَ غداً في القيامة، فيتعلقَ بأطرافكَ الحِسان، ووجهك المليح الذي يُستضاء به، فأقول: يا ربّ، سَلْ مصعباً بمَ قتلَني؟ فرقَّ له وقال: قد عفوتُ عنك. فقال الرجل: إنْ رأى الأميرُ أن يجعلَ ما بقيَ من حياتي في عيش رقيق الحواشي فليفعل. فأمرَ له بمئة ألف درهم، فقال: فإني أُشهدُك أنَّ نصفَها لابن(٦) قيس الرُّقيَّات. قال: ولِمَ؟ قال: لقوله فيك:

إنَّما مصعبٌ شهابٌ من اللهِ... تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلماءُ

---

(١) المصدر السابق ٦٧/ ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق ٦٧/ ٣٤١.

(٣) ثمار القلوب ص ٥٠٨، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٣٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٢. ونُسب الكلام في (م) إليه.

(٥) أي: عطاء. والنِّثار ما ينثر في الأعراس من مال أو حلوى. وفي «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٠: تجلوني عليه ولا تعطيه شيئاً؟

(٦) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): لبني. والتصويب من «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٤٩، والخبر فيه بنحوه.

وكان عبدُ الله بن الزَّبِير الأَسَدي قد هجا المصعب، فنذر دمه، ثم دخل عليه، فقال له مصعب: أنت القائل:

إلى رجبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعدَهُ ... توافيكمُ بِيضُ المنايا وسُودُها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دِينُها ... مسوَّمةً جبريلُ فيها يقودُها(١)

قال: نعم.

ومن شعره أيضاً:

رَمَى الحَدَثانُ نسوةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودا
فَرَدَّ شُعورَهنَّ السُّودَ بِيضاً ... ورَدَّ وجوهَهنَّ البِيضَ سُودا
فإنك لو سمعْتَ بكاءَ هندٍ ... ورملةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدودَا
سمعتَ بكاءَ باكيةٍ وباكٍ ... أبانَ الدَّهرُ واحدَها الفقيدا(٢)

فعفا عنه، وأجزل جائزتَه، فخرج من عنده وهو يقول:

جزى الله عنِّي مصعباً إنَّ فضلَهُ ... يعيشُ به الجاني ومن ليس جانيا
ويعفُو عن الذنبِ العظيم اجترامُهُ ... ويُوليكَ من إحسانٍ ما لستَ ناسيا(٣)

وهذا الشاعر من شعراء الحماسة.

وذُكر بين يدي مصعب رجل بالكِبْر، فقال: العجب ممن يتكبَّر وقد جرى في مجرى البول مرتين(٤).

وقال مصعب: قلتُ لعبد الله بن عُمر(٥): هل أدَّيْتَ حقَّ الله في هذا الأمر؟ قال: نعم، كتبتُ إلى عبد الملك آمرُه [بتقوى الله،] وأن يكفَّ نفسه، فكتبَ إليّ: فمُر ابنَ

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ١٢٣، و«تاريخ دمشق» ص ٥١١ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزَّبِير). وينظر «الأغاني» ١٤/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) في النسخ (عدا م، فالكلام ليس فيها): الفريدا، والمثبت من «شرح الحماسة» للتبريزي ٣/ ٤-٥. وينظر «شرح الحماسة» للمرزوقي ٣/ ٩٤١.

(٣) في النسخ: ما كنت جانيا. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص ٥١١ (الطبعة المذكورة آنفاً).

(٤) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٤٧ (طبعة مجمع دمشق). ونُسب الخبر في (م) للزُّبير بن بكّار.

(٥) في النسخ الخطية: عَمرو. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ١٤. وما سيرد بين حاصرتين منه. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٢ (طبعة مجمع دمشق).

الزُّبير أن يُخرجَ نَفْسَه من هذا الأمر، وأُخرجُ نفسي أيضاً، ونجعلُها بين المسلمين شورى. فقلت لأخيك، فقال: لستَ من هذا الأمر في شيء.

ذكر مقتله:

قد ذكرنا مكاتبة عبد الملك لأصحابه وما أشار به إبراهيم بن الأشتر من قتلهم أو حبسهم، وامتناع مصعب من ذلك.

والتقَوْا، فكان على مقدِّمة عبد الملك محمد بن مروان، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وكان على ميسرة مصعب إبراهيم بن الأشتر، وعلى ميمنته قَطَن بن عبد الله الحارثي، وعلى الخيل عتَّاب بن وَرْقاء. والتقوا عند دير الجاثليق بمَسْكِن.

قوله: عبد الله بن يزيد بن معاوية وهم، فإنَّ عبد الله بن يزيد قاتلَ يوم قُتل عَمرو بن سعيد، وهرب إلى مصعب، فقاتلَ معه هو وبنو عمرو بن سعيد حتى قُتل مصعب(١).

وكان عروة بن المغيرة بن شعبة مع مصعب، وكان عبد الملك في خمسين ألفاً، ومصعب بن الزبير في ثلاثين ألفاً.

قال عروة: نظر إليَّ مصعب وهو واقف على دابَّته يتصفَّحُ الناس يميناً وشمالاً وقد خذله أهل الكوفة، فقال: يا عروة، أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صنعَ بإبائه النزولَ على حكم ابن زياد، وعزمه على الحرب؟ ثم أنشد:

وإنَّ الأُلَى بالطَّفِّ من آل هاشم ... تَأَسَّوْا فَسَنُّوا للكرامِ التَّأَسِّيا

قال: فعلمتُ أنه لا يَرِيمُ حتى يُقتَل(٢).

ثم التَقَوْا، فحمل إبراهيمُ بنُ الأشتر على محمد بن مروان، فأزاله عن موقفه، وقُتل جماعة من أعيان أهل الشام، وهرب عتَّابُ بنُ وَرْقاء، وكان على خيل مصعب، وحملَ ابنُ الأشتر، فغاص في أهل الشام فقتلُوه، فقال مصعب لقَطَن بن عبد الله

(١) لم أقف على مراد المصنِّف. والذي سلف في ترجمة عَمرو بن سعيد بن العاص (أحداث سنة ٦٩) أن عبد الله ابن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى أخي عمرو بن سعيد لمَّا اقتحم مقصورة عبد الملك ليستنقذ عَمْراً، فلما قُتل عَمرو ركب عبد الله ولحق بمصعب. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٦-١٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٥٦.

الحارثي: قَدِّمْ خيلَك أبا عثمان. فقال: ما أرى ذلك. قال: ولم؟ قال: أكرهُ أن يقتل واحد[١] في غير شيء. فقال لحجّار بن أبجر: أبا أسيد، قَدِّمْ رايتَك. فأبى. ثم قال لأصحابه: تقدَّموا. فأبَوْا. فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيم اليوم!.

ولمّا رأى مصعب تخاذلَ القوم قال لابنه عيسى: يا بُنيّ، اركبْ إلى مكّة أنت ومن معك إلى عمِّك. فأخْبِرْه ما صنعَ أهلُ العراق، ودعني فإني مقتول. فقال ابنُه: واللهِ لا أُخبرُ قريشاً أني فعلتُ ذلك[٢]، ولكن الْحَقْ بالبصرة، فهُم على الجماعة. فقال مصعب: لا واللهِ ما الفرارُ لي بعادة، وما السيف بعار. فقال عيسى: واللهِ لا أُفارقك أبداً.

وانهزم مَنْ كان مع مصعب حتى بقي في سبعة من خواصِّه، ومال جميعُ من كان معه من أهل العراق إلى عسكر عبد الملك، فرقَّ له عبدُ الملك وكان يحبُّه، وكان خِلًّا له قبل الخلافة، فقال عبد الملك لأخيه محمد: اذهبْ إليه فأَمِّنْه. وكان علي بن عبد الله ابن العباس حاضراً، فقال: لا تؤمِّنْه. فصاحَ به خالدُ بن يزيد بن معاوية: مالكَ يا علي ولهذا؟! بل نؤمِّنُه. وسبَّ عليّاً ونال منه.

فجاء محمد بن مروان، فناداه: يا مصعب، قد أمَّنَك ابنُ عمِّك على نفسك وولدِك وأهلك ومالك، فاذهب حيثُ شئتَ من البلاد، ولو أراد بك ابنُ عمك غيرَ هذا لكان. فقال مصعب: قُضيَ الأمر، إنَّ مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً.

ولما أبى مصعبٌ قبولَ الأمان وتقدَّم عيسى بن مصعب يقاتل؛ ناداه محمد بن مروان: يا ابن أخي، لا تقتلْ نفسَك قد أمَّنَك ابنُ عمك. قال مصعب: قد أمَّنك عمُّك، فامضِ إليه[٣]. فقال: والله لا تتحدَّثُ قريشٌ أني أسلمتك للقتل. فقال: تقدَّمْ بين يديّ

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٨: تقتل مذحج.

(٢) عبارة النسخ الخطية (غير م، فالكلام ليس فيها): «اركب إلى مكة أنت وبنو عمك قريش أني فعلت ذلك...»! وفيها اضطراب وسقط. وأثبتُّ لفظ «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٨. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٢٤٧.

(٣) كذا وقعت العبارة في (خ) و(د)، وسقط من (أ) قولُه: «قد أمَّنَك ابنُ عمك قال مصعب» وسقط من (ب) قوله: «محمد بن مروان يا ابن أخي لا تقتل نفسك». وعبارة الطبري ٦/ ١٥٦: «ولما أبَى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له: يا ابن أخي لا تقتل نفسك، لك الأمان. فقال له مصعب: قد أمَّنك عمُّك فامض إليه...إلخ» وهي أحسن.

حتى احتسبَك. فتقدَّمَ، فقاتلَ بين يديه حتى قُتل. وأُثخن مصعب بالرَّمي، وحملَ عليه زائدة بن قُدامة وهو يقول: يا ثارات المختار، فطعنَه فصرعه.

وقيل: الذي قتل مصعباً يزيد بن هبَّار الفائشي وكان من أصحاب مصعب(١).

ونزل إليه عُبيد الله بنُ زياد بن ظَبْيان، فحزَّ رأسَه، وأتى عبدَ الملك، فأعطاه ألفَ دينار، فلم يأخذها وقال: إني لم أقتله لأجلك، وإنما قتلته على وِترٍ صنعه بي، ولا آخُذُ على حمل رأس مالاً(٢).

وكان النابي أخو عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان قد قُتل في أيَّام مصعب؛ كان يقطعُ الطريق، وطلبَ مصعبٌ عُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيان، فهربَ إلى عبد الملك(٣).

ولمَّا وُضع رأسُ مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال: واللهِ ما كنتُ أصبرُ عنه ساعة واحدة حتى دخلَ السيف بيننا، ولكنَّ المُلك عقيم، ومتى تغدو النساء بمثل مصعب، ولقد كانت الحُرمة بيننا وبينه قديمة(٤).

وقيل لعبد الملك: أكان مصعبٌ يشربُ الطِّلا؟ فقال: كلا والله، لو علَم مصعبٌ أنَّ الماء يُفسد مروءتَه لما شربه، رحم الله مصعباً ورضي عنه. ثم أمر بمواراته وولده عيسى وإبراهيم بن الأشتر، فدُفنوا بمَسْكِن، وقبورهم ظاهرة تُزار(٥).

ويقال: إنَّ عبد الملك سجد(٦)؛ قال ابن ظَبْيان: لمَّا سجدَ هَمَمْتُ أن أعلوَه بالسيف، فأكونَ قد قتلتُ مَلِكَي العرب في ساعة واحدة، وأَرَحْتُ المسلمين منهما(٧).

وقال عبد الملك لابن ظَبْيان: كيفَ رأيتَ المصعب؟ فقال: رجلاً يملأُ العين شجاعةً، والقلبَ مهابةً، الرمحُ بيده، والسيف في يده الأخرى، يطعنُ بهذا، ويضرب

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٩.
(٢) ينظر: أنساب الأشراف ٦/ ١٨٦-١٩٥، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٧-١٥٩، ومروج الذهب ٥/ ٢٤٢-٢٥٠.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٠. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٢١.
(٤) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٠-١٦١.
(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٠٩.
(٦) يعني لما أُتيَ برأس مصعب.
(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٨٧ و١٩٥، و«مروج الذهب» ٥/ ٢٤٩، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٦-٣٥٧ و٣٦٩ (طبعة مجمع دمشق).

بهذا، ويفرِّقُ عنه رجاله وهو يقول:

وإنِّي على المكروه عند حضورِهِ أُكذِّبُ نفسي والجفونُ لها تُغْضِي
وما ذاك من ذُلٍّ ولكن حفيظةٌ أذُبُّ بها عند المكاره عن عرضي
وإني لآلِ الشَّرِّ بالشَّرِّ مَرْصَدٌ وإني لِذي سِلْمٍ أَذَلُّ من الأرضِ

فقال عبد الملك:

لقد أرْدَى الفوارسُ يومَ عبسٍ غلاماً غير منَّاعِ المتاعِ
ولا وقَّافةٍ والخيلُ تَعْدُو ولا خالٍ كأنبوب اليَراعِ(١)

وقال ابنُ ظَبْيان لما قُتل مصعب:

نُعاطي الملوكَ الحقَّ ما قَسَطُوا لنا وليس علينا قتلُهم بمحرَّمِ(٢)

وقال عبد الملك بعد قتل مصعب: مَنْ أشجعُ العرب وأكرم العرب؟ فسكتوا. فقال: إنَّ أشجع العرب وأكرم العرب من جمعَ بين سُكينةَ بنت الحسين وعائشةَ بنت طلحةِ، وأمةِ الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كَرِيز، وأمُّه رباب [بنت أُنيف الكلبي] سيِّد ضاحية العرب، ووليَ العراق خمس سنين، فأصاب ألفَ ألف، وألفَ ألف، وألفَ ألف، ففرَّقَها في الناس، وأُعطِيَ الأمان على نفسه، فأبى، ومشى إلى الموت بسيفه، فقاتل حتى قُتل كريماً، لا مَنْ يقطع الجسر مرةً ههنا، ومرَّةً ههنا(٣).

[وحكى ابنُ سعد عن الواقدي قال:] وقُتل مصعب يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين. وكذا قال المدائني.

وقال ابن أبي حاتم: في سنة إحدى وسبعين. وقد حكى الطبري القولين.

وقيل: سِنُّهُ خمسٌ وثلاثون. وقيل: تسع وثلاثون. وقيل: أربعون. وقيل: خمس وأربعون.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٩-٣٦٠ (طبعة مجمع دمشق)، وفي ص ٣٧٠: لقد أردى الفوارسَ... غلامٌ...
وقوله: اليَراع، أي: القصب.
(٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٩٥، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٨.
(٣) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٧٠. (وما سلف بين حاصرتين منه)، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٦٨-٢٦٩.

وقال ابنُ عساكر(١): حكى مصعب عن عمر بن الخطاب، وأبيه الزُّبير رضي الله عنهما. فعلى ذلك قد جاوزَ الخمسين؛ لأنَّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قُتل في سنة ثلاث وعشرين.

وقد روى عن مصعب الحَكَمُ بنُ عُتَيْبَة وغيرُه.

ذكر أولاده وأزواجه:

[قال ابن سعد:] فولد مصعب عكاشةَ، وعيسى الأكبر، قُتل مع أبيه [مصعب]، وسُكينة، وأمُّهم فاطمةُ بنت عبد الله بن السائب بن أبي حُبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ.

وعبدَ الله ومحمداً، وأمُّهما عائشةُ بنت طلحة بن عُبيد الله، وأمُّها أمُّ كلثوم بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

[وحمزة، وعاصماً، وعُمر لأمِّ ولد](٢).

وجعفراً ومصعباً، وهو خُضير، وسَعداً، والمنذرَ، وعيسى الأصغر، وسُكَينةَ؛ لأمَّهاتِ أولادٍ شتَّى.

والرَّبابَ، وأمُّها سُكَينة بنتُ الحسين بن علي رضي الله عنه. [وهذا قول ابن سعد].

وقال هشام: [لم يكن له ولد اسمُه عبد الله، و] كان له حمزة وعاصم وعُمر، وقُتل حمزة وعُكاشة يوم قُدَيْد، وتزوَّج جعفر بن مصعب مُليكة بنت الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام(٣).

[قال]: ولما أيقنت سُكَينةُ بأنَّ مصعب بنَ الزبير مقتولٌ، وأنَّه لا يسلِّم نفسه نادت: وامصعباه! فقال مصعب: لو سمعتُ منك هذا الكلام قبل اليوم ما قُمتُ هذا المقام.

---

(١) في تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) قوله: وحمزة وعاصماً وعُمر لأمِّ ولد، من «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٢ . وما وقع غيره بين حاصرتين في هذه الفقرة فمن (م).

(٣) بعده في (أ) و(د) و(ب): «وكانت عائشة بنت طلحة قبل مصعب عند الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام». وهذا خطأ، إنما كانت عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ثم تزوجها مصعب. ينظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٣٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢٠٨-٢٠٩ (تراجم النساء).

يعني أنها ما كانت تظهر له محبّتَها، فلما علم بحبِّها إياه ندم على إقدامه على القتل(١).

فلما قُتل خرجت [سُكينة] تطوف عليه بين القتلى، فعرفَتْه بشامةٍ في فخذه، فأكَبَّتْ عليه تقبِّلُه وتبكي وتقول: رحمك الله، فواللهِ لقد كنتَ نِعْمَ حليلُ المرأة المسلمة، أدركَكَ ما قال عنترة. وأنشدت الأبيات:

ليس الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ(٢)

ذكر ما رُثي به من الشعر، وما قال عبد الملك بعد قتله:

وقد رثاه جماعة؛ قال ابنُ قيس الرُّقَيَّات:

لقد أوْرَثَ المِصْرَيْنِ حُزْناً وذِلَّةً ... قتيلٌ بدَيْرِ الجاثَليقِ مقيمُ
فما نَصَحَتْ للهِ بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبَرَتْ عند اللقاءِ تميمُ
ولو كان بكريّاً تعطَّفَ حولَهُ ... كتائبُ تجري حولَه وتَحومُ
ولكنه ضاع الذِّمامُ ولم يكن ... بها مُضَريٌّ يومَ ذاكَ كريمُ
جزى الله كوفيّاً هناك مَلامةً ... وبَصْرِيَّهم(٣) إن اللئيمَ ملومُ

من أبيات.

ورثاه المغيرة بن عبد الله الأسدي الكوفي، وكنيتُه أبو مُعْرِض، ويُعرف بالأُقَيْشر بحمرة وجهه(٤):

فسقى السحائبُ والنجومُ بأسرها(٥) ... جسداً بِمَسْكِنَ عاريَ الأوصالِ

---

(١) في هذا الكلام نظر، ففيه صرف عن حقيقة المعنى والهدف الذي كان عليه مصعب. وهذه رواية هشام ابن الكلبي، وهو متروك.

(٢) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٦٨، وفيه بيتان لعنترة:

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً ... بالقاع لم يعهدْ ولم يتثلَّمِ
فهتكتُ بالرُّمح الطويل إهابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ

(٣) في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها): واسريهم! والمثبت من «ديوان» ابن قيس الرقيات ص ١٩٧، والأبيات فيه ببعض الاختلاف، وكذا في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٧٧.

(٤) لم أقف على الأبيات للأقيشر، ونسب ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٥٦ الأبيات لعُبيد الله بن قيس الرقيات، وهي في «ديوانه» ص ١٩١.

(٥) في المصدرين السابقين: نعت السحائبُ والغمامُ بأسرها.

تُمسي عَوائذه السِّباعُ ودارُهُ بمنازلٍ أطلالُهنَّ بوالي
رَحَلَ الرِّفاقُ وغادرُوه ثاوياً للرِّيحِ بين صَبا وبين شَمالِ

ورثاه عبدُ الله بن الزَّبير الأسدي، وكان قد ذهبَ بصره، فسمع يوماً كلام ابنِ ظَبْيان فقال: من هذا؟ قالوا: قاتل مصعب، فقال:

أبا مطرٍ شَلَّتْ يمينٌ تفرَّعَتْ بسيفك رأسَ ابنِ الحَواريِّ مصعبِ
ولا ظَفِرَتْ كفَّاك بالخيرِ بعدَهُ ولا عِشْتَ إلا في تَبارٍ مُخَيَّبِ
قتلتَ فتًى كانت يداه بفضلهِ تَسُحَّان سَحَّ العارضِ المتصوِّبِ
أغرَّ كضوءِ البدرِ صورةُ وجهِهِ إذا ما بدا في الجَحْفَلِ المُتَلَبِّبِ[1]

فقال ابنُ ظَبْيان: صدقتَ، واللهِ ما أفلَحْنا بقتله ولا أَنجَحْنا، فهل من توبة؟ فقال: هيهات، سَبَقَ السَّيفُ العَذَل[2].

ومعنى كلام ابنِ ظَبْيان: أنَّ عبدَ الملك لم يفِ لأحد ممَّن وعدَه الولاياتِ بشيء، وأبعدَهم عنه، ولم يَرَوْا منه خيراً قطّ.

ولما قتلَ عبدُ الملك مصعباً؛ نزل النُّخَيْلَة، ثم دعا الناس إلى البيعة، فجاءت قُضاعة، فرأى فيهم قلَّةً، فقال: يا معشر قُضاعة، كيف سلمتُم من مُضر مع قلَّتِكم وكثرتِهم؟ فقال له عبدُ الله بن يعلى النَّهْديّ: نحن أعزُّ منهم وأمنع. فقال: بمن؟ قال: بمن معك منَّا.

ثم قال لجُعفي: أشتملتُم على ابنِ أختكم وأجرتُموه؟ - يعني يحيى بنَ سعيد بن العاص - هاتوه، قالوا: وهو آمن؟ قال: وتشترطون عليَّ؟! قالوا: نحن نَدِلُّ عليك. فقال: هو آمن. فجاء يحيى، فقال له عبد الملك: يا قبيح الوجه، بأيِّ وجهٍ تنظرُ إلى ربك وقد خلعتني؟! فقال: بالوجه الذي خلقَه. فبايعه.

وجاءت عَدْوان ورئيسُها مَعْبَد بنُ خالد الجَدَلي، وكان دميماً، فقدَّم بين يديه رجلاً جسيماً وسيماً، فقال عبد الملك: من هؤلاء؟ قال الكاتب: عَدْوَان. فقال عبد الملك:

(١) أي: المشمِّر ومعه السلاح. وفي «تاريخ دمشق» ص ٥١١: المتكثِّب.
(٢) تاريخ دمشق ص ٥١١-٥١٢ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزَّبير). وينظر «الأغاني» ١٤/ ٢٣٣-٢٣٤.

عَـــذِيــرَ الــحــيِّ مــن عَــدْوا نَ كــانــوا حَــيَّــةَ الأرضِ
بَـغَـى بـعـضٌ عـلـى بـعـضٍ فـلـم يَـرْعَـوا[1] عـلـى بـعـضِ
ومـنـهـم كـانـت الـسـادا تُ والـمُـوفُـون بـالـقَـرْضِ

ثم أقبل عبدُ الملك على الرجل الجسيم وقال: إيه. يستنطقُه. فقال: لا أدري. قال معبد: فقلت:

ومـنـهـم حَـكَـمٌ يـقـضـي[2] ولا يُـنـقَـضُ مـا يـقـضـي
ومـنـهـم مَـنْ يُـجـيـزُ الـحـجَّ[3] بـالـسُّـنَّـةِ والـفَـرْضِ
وهُـمْ مـن ولـدٍ يـنـزع[4] بِـسِـرِّ الـنَّـسَـبِ الـمَـحْـضِ

قال: فلم يلتفت إليَّ عبدُ الملك، وأقبلَ على الرجل الوسيم فقال: من يقول هذا؟ فقال: لا أدري. فقال معبد: فقلتُ من خلفه: ذو الإصبع العَدْواني. فلم يلتفت إليَّ وأقبل على الجميل، فقال: ولِمَ سمِّي ذو الإصبع[5]؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه: [لأنَّ حيَّةً عَضَّتْ إصبعَه، فقَطَعَتْها. فأقبل على الجميل فقال: ماكان اسمُه؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه:] حُرْثان بن الحارث. فلم يلتفت إليَّ وقال للجميل: من أيكم كان؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه: من بني تاج. فأقبل على الجسيم وقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعُ مئة. ثم التفتَ إليَّ وقال: كم عطاؤك؟ قلت: ثلاث مئة. فقال للكاتب: حطَّ من عطاء هذا - يعني الجميل - أربعَ مئة، وزِدْها في عطاء هذا. يعني معبداً. فرجع معبد في سبع مئة، والرجل الجميل في ثلاث مئة[6].

---

(١) في «الأغاني» ٣/ ٨٩: فلم يُبْقوا.

(٢) قال أبو الفَرَج في «الأغاني» ٣/ ٩٠: يعني عامر بن الظَّرِب العَدْواني، كان حكماً للعرب تحتكم إليه.

(٣) في رواية «الأغاني» ٣/ ٩٢: يجيز الناس، وهما بمعنى. قال أبو الفَرَج: إن إجازة الحج كانت لخزاعة، فأخذَتْها منهم عَدْوان، فصارت إلى رجل منهم يقال له: أبو سيَّارة.

(٤) لم أقف على هذا اللفظ. ورواية الأغاني: وهم من وَلَدُوا أشْبَوا. وفي «تاريخ» الطبري٦/ ١٦٣: وهم مذ ولدوا شبُّوا. وفي «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٣، و«تهذيب الكمال» ٢٨/ ٢٣١ (كلاهما في ترجمة معبد بن خالد): وهم من ولدوا أسنوا.

(٥) كذا. والجادَّة: ذا الإصبع.

(٦) ينظر: أنساب الأشراف ٦/ ٢١٣-٢١٤، و«تاريخ» الطبري٦/ ١٦٢-١٦٤، والأغاني ٣/ ٩١-٩٣، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٣، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٣٠-٢٣٢ (ترجمة معبد بن خالد) وما سلف بين حاصرتين منها.

وإنما لم يلتفت عبدُ الملك إلى معبد؛ لأنَّه لم يسأله، ومن حُسن الأدب أن يُجيب المسؤولُ، أما إذا أجابَ غيرُه، فهو حُمق.

ثم دخل عبد الملك الكوفة، فخطب وقال: إنَّ عبد الله بن الزُّبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسَى بنفسه، ولم يغرز ذنبَه في الحرم، وقد ولَّيتُ عليكم بِشْرَ بنَ مروان، وأمرتُه بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

واستعمل محمدَ بنَ عُمير على هَمْدان، ويزيدَ بنَ رُويم على الرَّيّ، وعلى البصرة خالدَ بنَ عبد الله بن أسيد. وفَرَّقَ العمَّال، ولم يفِ لأحدٍ شَرَطَ عليه ولايةَ أصبهان بشيء.

وكان قد تنازعَ الرِّياسةَ بالبصرة عُبيدُ الله بنُ أبي بَكْرة وحُمران بن أبان بعد قتل المصعب، فغَلَبَ حُمْران على البصرة، وكانت له منزلةٌ عند بني أمية؛ رأى شيخٌ من الأعراب حُمران، فقال: لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه، فابتدرَه مروان وسعيد بن العاص أيُّهما يُسَوِّيه.

وقال أبو عاصم: مدَّ حُمران رِجْلَه، فابتدر معاويةُ وعبدُ الله بنُ عامر أيُّهما يغمزها[(١)].

وحُمران هو الذي نفاه عثمان رضوان الله عليه إلى البصرة، وهو مولاه.

ثم قدم خالد بن عبد الله البصرة والياً، فأزال ولاية أبي بَكْرَة وحُمْران.

و[قال الهيثم:] دخلَ عبد الملك القصر بالكوفة، وجعل يمرُّ على الأبنية فيقول: مَنْ بَنَى هذا؟ ومن بنى هذا؟ وهم يخبرونه، فقال:

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إلى بِلًى وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانَ

و[قال أبو القاسم السِّمناني:] جلسَ عبدُ الملك في القصر وبين يديه رأس مصعب، فدخل الشعبي، فقال له عبد الملك: حدثني بأعجب ما رأيتَ أو سمعتَ. فقال: رأيتُ رأسَ الحسين بين يدي ابنِ زياد ههنا، ورأيتُ رأس ابنِ زياد بين يدي المختار، ورأيتُ رأس المختار بين يدي مصعب، ورأيتُ رأسَ مصعب بين يديك. فبأيِّ شيء أحدِّثك [بأعجبَ من هذا]؟ فتَطَيَّر عبدُ الملك من قول الشعبي، وأمرَ بنقض القصر، وبنى غيرَه.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٤ـ١٦٥.

قال المصنف رحمه الله: وهذا وهم؛ لأنَّ عبد الملك دفن رأس مصعب مع جثَّته بمَسْكِن، ولم يدخل به الكوفة. [وإنما هذا من كلام عُبيد بن عُمير][١].

واختلف الناسُ، هل دخل عبد الملك الكوفة أم لا؟.

قال بعضهم: دخلها، وقال بعضهم: لم يدخلها، وأقام بمَسْكِن أربعين يوماً، ثم دخل الشام.

[قال الواقدي:] ولما عاد عبد الملك في هذه السنة إلى الشام فتحَ قيساريَّة الساحل[٢].

ذكر وصول خبر مصعب إلى أخيه عبد الله[٣]:

كان عبد الله بن أبي فَرْوَة عند مصعب بمنزلةٍ لم يصل إليها غيرُه، وكان ينتهي إلى رأيه، فلما قُتل مصعب هرب ابنُ أبي فَرْوة إلى مكة، فقال عبد الملك: مَنْ يَرُدُّه وله مئةُ ألف درهم. فسارَ خلفَه جماعةٌ، ففاتَهم، وقدمَ مكةَ على ابن الزُّبير، فقال: حدِّثْني كيف كان حديث[٤] أخي مع عبد الملك؟ فقال: التقينا، فمال داودُ بن قَحْذَم براية بكر ابن وائل، ومالَ فلان براية بني فلان.. حتى عدَّ الجميع.

قال: فلما رأيتُه قد بقي في رِقَّةٍ من الناس؛ أتيتُه بأفراس قد ضَمَّرْتُها مثل القِداح، فقلت له: ارْكَبْ والْحَقْ بمكة. فَدَثَّ[٥] في صدري دَثَّةً، فقال: ليس أنا بالفارّ ولا العبد، وعلى الحياة العَفَاء. فبكى ابنُ الزُّبير [عند ذلك بكاءً شديداً واسترجع][٦] وقام خطيباً فقال:

الحمد لله الذي له الخَلْقُ والأمر، يؤتي المُلكَ مَنْ يشاء، وينزعُ الملكَ ممَّن يشاء، ويُعزُّ مَنْ يشاء، ألا وإنَّه لم يُذلَّ اللهُ مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان فرداً، ولم يُعزَّ من كان

---

(١) كذا في (م) (والكلام ما بين حاصرتين منها). والصواب: عبد الملك بن عمير، لا عُبيد بن عُمير، وعبد الملك بن عُمير هو صاحب القصة كما في المصادر. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٧٠ و٣٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٧. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) جاء بدل هذا العنوان في (م) عبارة: وحكى أبو اليقظان قال.

(٤) في (م): التقاء.

(٥) أي: دَفَعَ.

(٦) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٨٨. والكلام بين حاصرتين من (م).

obeikandl.com

وليَّه الشيطانُ وحزبُه ولو كان معه الأنام [طُرّاً](١)، ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزَننا وأفرَحنا، أتانا قتلُ مصعب رحمه الله، فأمّا الذي أفرَحنا؛ فعِلْمُنا أنَّ قَتْلَه له شهادة، وأمّا الذي أحزَنَنا؛ فإنَّ لفراق الحميم لوعةً يجدُها حميمُه عند المصيبة، ثم يَرْعَوِي مِن بعدِها ذو الرأي إلى الصبر الجميل وكريم العَزَاء، ولئن أُصبْت بمصعب؛ فلقد أُصبتُ بالزُّبير قبلَه، ألا إنَّ أهلَ العراق أهلُ الغَدْرِ والشِّقاق، أسلَمُوه وباعوه بأقلِّ ثمن، فإن نُقتل فإنَّا واللهِ لا نموتُ على مضاجعنا كما يموتُ بنو أبي العاص، واللهِ ما قُتِلَ منهم رجلٌ في زحفٍ في الجاهلية ولا في الإسلام، وما نموتُ إلا قَعْصاً(٢) بالرِّماح، وموتاً تحت ظِلال السيوف، ألا إنما الدّنيا عاريَّةٌ من المَلِكِ الأعلى الذي لا يزولُ سلطانُه، ولا يَبِيدُ مُلْكُه. وتمثَّلَ:

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إلى البِلَى ... وكلُّ امْرِئٍ يوماً يصيرُ إلى كانَ(٣)

السنة الثانية والسبعون

وفيها كَمُلَ بناءُ قُبَّة الصَّخرة والجامع الأقصى، وكان [عبد الملك] شَرَعَ في بنائها سنة تسع وستين(٤).

والسببُ(٥) فيه أنَّ ابن الزُّبير كان قد استولى على مكة(٦).

[وقال هشام:] وكان يخطبُ في أيام منى وعرفة ومُقام الناس بمكة، وينال من عبد الملك، ويذكرُ مساوئَ بني أمية، ومثالب بني مروان، ويقول: إنَّ رسول الله ﷺ لعنَ

(١) لفظة «طرّاً» بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٦ .

(٢) القَعْص: الطعن بالرُّمح.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٦-١٦٧ . وجاء بعده في (خ) ما نصُّه: آخر الجزء المنقول منه؛ والحمد لله وحده، حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٤) سلف الكلام على ذلك أول سنة (٦٩)، لكن نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ عن المصنِّف البدء بها في أحداث سنة (٦٦)، وقال: كملت عمارته سنة ثلاث وسبعين. ولفظ العباره في (م): قد ذكرنا أن عبد الملك بن مروان كان شرع.....

(٥) في (م): قال الواقدي: وكان السبب...

(٦) بعدها في (م) ما صورتُه: «فكان في المواسم يذكر مثالب بني مروان ويدعو إلى نفسه، وكان فصيحاً، فتميل الناس إليه، فمنع عبد الملك الناس من الحج». وسيرد هذا الكلام مفرَّقاً فيما يأتي. لذا لم أزده.

obeikandi.com